

## تقديم الدكتور أيمن عبد الرزاق الشوّ

جامعة دمشق – كلية الآداب والشريعة

الحمد لله الذي هبّاً للغة العربية عبداً عاملين رزقهم الإخلاص فقاموا عليها رُعاةً وحفظه يُفنون لها الأعمار  
ويعلمون بها الأسفار والصلاة والسلام على سيّدنا محمد سيّد ولد عدنان الذي أُوتِيَ جوامع الكَلِم وفصل الخطاب  
وبعدُ فلقد شَغَفَتْ قلوبنا بحبّ اللغة العربية وتوجّهتْ هممنا نحو العناية بها ودراستها وتدريسها لجليل نفعها وعظيم  
شأنها ورحم الله القائل: النَّحْوُ ييسط من لسان الألكن والمرءُ تكرمه إذا لم يَلْحَن  
وإذا طلبت من العلوم أجَلّها فأجلّها نفعاً مقيم الألسن  
أجلّ ، إنّه علم النحو

### النحو حلية الفضل

رأى أهل العلم والأدب أنّ أفضل حلية وأنفس شيءٍ تطمح إليه نواظر الأمانة وهي جمالٌ من ليس له جمال وكمال  
من يتعلّم منه البدر الكمال هو علم العربية وتاجه النحو  
قال المأمون لبعض أولاده وقد سمع منه لحناً: ما على أحدكم أن يتعلّم العربية فيقيم بها أودّه ويزين بها مشهده ويُقلّ  
بها حُجج خصمه ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، أيسرُ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو لسان أمته، فلا  
يزال الدهر أسير كلمته !!<sup>3</sup>

قال الثعالبي في فقه اللغة وسرّ العربية: من أحبّ الله أحبّ رسوله المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ومن أحبّ  
النبيّ العربيّ أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ العربية ومن أحبّ العربية عُني بها وثابر عليها وصرف همته إليها  
ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمّداً صلّى الله عليه وسلّم خير الرسل  
والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة. والإقبال على تفهّمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في  
الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في  
جلائها ودقائقها إلاّ قوّة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة الذي هو عمدة الإيمان لكفى  
بهما فضلاً يحسُن أثره ويطيب في الدارين ثمره

وقال العلامة مصطفى صادق الرافعي في إعجاز القرآن: إنّ في العربية سرّاً خالداً هو هذا الكتاب المُبين  
الذي يجب أن يُؤدّى على وجهه الصحيح، ويُحكّم منطقاً وإعراباً، بحيث يكون الإخلال بمخرج واحد منه، كالزيف

<sup>3</sup> الغيث المسحوم في شرح لامية العجم 1/83

بالكلمة عن وجهها وبالجملة عن مؤدّاها، إنّما القرآن جنسية لغوية يجمع أطراف النسبة إلى العربية فلا يزال أهلها مستعربين به، متميّزين بهذه الجنسية حقيقةً أو حُكْمًا، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن الكريم على الناس وردّهم إليها لما تّماست أجزاء هذه الأمة<sup>4</sup>

## علم النحو - الكتب المؤلّفة فيه

ألّف العلماء في علم النحو ما لا يسع القارئ جهلُهُ وإن قلّ فإنّه يجمع بذلك أمورًا، منها: الدخول في بركة دعوة النبيّ - عليه السلام - لقوله (( رحم الله امرأً أصلح من لسانه ))، ومنها: الاقتداء بالسلف الصالحين في قولهم: أعربوا الكلام لتعربوا القرآن، ومنها: السلامة من الأمور الشنيعة والعيب الفظيخ لقولهم: إنّ للحنّ عمراً كعمّر اللّحم، ومنها: مفارقة العامة المذمومين عند الخاصّة، ومنها: المهارة في تلاوة القرآن رغبةً فيما ضمنه النبيّ - عليه السلام - بها من رفيع الدرجة، وعلوّ المنزلة لقوله: (( الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ))، ومنها الأمن من فاحش اللحن في الكلام<sup>5</sup>

## قيمة قواعد اللّغة العربيّة

يقول المستشرق الألماني يوهان فك: لقد تكفّلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهدٍ لا يعرف الكلل، وتضحيةً جديدةً بالإعجاب، بعرض اللّغة الفصحى، وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات، والصيغ، وتراكيب الجمل، ومعاني المفردات، على صورة شاملة، حتّى بلغت كتب القواعد الأساسيّة عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادةٍ لمستزيد<sup>6</sup>.

ومهما اختلفت الدراسات التي تتناول العمل اللغوي، فإنّها تلتقي عند نقطة مهمّة، هي أنّها تفجّر الشروات الكامنة في هذا العمل، وتبرز المضامين المختزنة فيه، وهذا مما يضفي على العمل اللغوي الغنى الفكريّ المتمثّل بإضاءة النص وتوضيحه للقارئ. وإذا توجه الحديث نحو قواعد اللّغة العربيّة فإنه لا بدّ أن يجمع الحُسنَيْن: أولاً: قيمة اللّغة العربيّة وأهميتها بالنسبة للأمة العربيّة. ثانيًا: جهود العلماء الواسعة في التصنيف والتأليف للقواعد العربيّة، عبر العصور المختلفة. ومحاولات تيسير هذه القواعد.

<sup>4</sup> من وحي القلم 25/3

<sup>5</sup> حاشية كشف الظنون، 1934

<sup>6</sup> العربيّة، دراسة في اللغات واللهجات والأساليب: يوهان فك، ترجمة د عبد الحليم النجار - القاهرة، 1951م، انظر الصيغ الرباعية والخماسية اشتقاقًا ودلالةً: د فريد نعيم ص 3

أما أهمية اللغة بالنسبة للأمة فهي أكبر عامل وحدة وشعور بين الناطقين بها، قديماً وحديثاً. ويوم أذن الله لنهضة العرب بالانبعاث قبل ستين سنة آمن الطليغة من جنودها أن أولى مقومات الأمة لغتها، فهي السلك الناظم لكل ما به حياتها ورددوا مع الشاعر قوله:

لغة إذا وقعت على أسمعنا كانت لنا بزداً على الأكداد  
ستظل رابطة تؤلف بيننا فهي الرجاء لناطِقٍ بالضاد

وأما جهود العماء فكلّ أمة تسعى لعرض لغتها العرض المُشرق فتستخدم شتى الأساليب، وتنفن لإبرازها بأبهى شكل. ولعلّ نظرة مقارنة بين قواعد العربيّة وقواعد غيرها من اللغات تُثبت أصالة قواعدها ودقّة منهجيتها، لأنّ هذه القواعد مرتبطة بلغة القرآن الكريم. ومن الثابت أنّ نشأة النحو كانت نشأة تعليمية، تُهدف إلى عصمة ألسنتنا وأقلامنا من مُجانبية انتحاء سَمَتِ كلام العرب، فنّفهم ونّفهم الآخريين. ومدار هذا على أمرين: صحّة الأسلوب واستقامة العربيّة. والمقصود بصحّة الأسلوب أن يجري على سنن الأسلوب العربي الأوّل والمراد بالعربيّة المستقيمة ما يطابق عربيّة الأوائل. ولن يوصف أحدهما بالصحّة أو الاستقامة إذا خالف الأصول العامّة، والضوابط المنتزعة من كلام العرب الخُص. وبدأ هذا العلم - مثله مثل أيّ علمٍ - بسيطاً غير واضح المعالم غير محدّد المصطلحات. تتداخل فيه شتى علوم العربيّة، ثمّ بدأ يتطوّر بحكم تطوّر العقليّة العربيّة، وبحكم احتكاك هذه العقليّة بمعارف ومناهج الأمم الأخرى التي دخلت الإسلام، أو التي أصبحت ذات علاقة من نوع ما بالمجتمع العربيّ الإسلاميّ، ومن هنا بدأ النحو يتبلوّر علماً قائماً بذاته، له مصطلحاته الخاصّة ومناهجه المحدّدة، ومن هنا بدأ تدوين النحو العربيّ ولمّ يخلُ عصرٌ من العصور من التصنيف في علم النحو، ابتداءً من أوّل كتاب نحويّ وصل إلينا - وهو كتاب سيّويّه - (ت 180 هـ)، وانتهاءً بكتب المعاصرين ككتاب النحو الوافي لعبّاس حسن والموجز في قواعد اللّغة العربيّة للأستاذ سعيد الأفغاني والنحو المُيسّر للدكتور محمد خير حلواني، وغيرهم. ولم يُوصدّ باب التّأليف والتصنيف في هذا المجال، لأنّ العربيّة لغة العبقريّة لا يُحيط بها إلاّ نبيّ. والمُلاحظ في هذا العصر أنّ الإقبال على تعلّم اللّغة العربيّة يشتدّ، خاصّةً في البلدان الإسلاميّة، لما للّغة من مكانةٍ كبيرةٍ بصفتها لغة الدين والعبادة والثقافة والحياة، التي تربط المسلمين والعرب بأوامر الأخوة والمحبة

ولعلّ هذا الإقبال توجّه من غير العرب أيضاً، في أوربا وأمريكا، فقد تشوّقت نفوسهم إلى دراسة اللّغة العربيّة من خلال القواعد المُيسّرة المُبسّطة التي تناسب فهمهم وطبيعة تفكيرهم. وما يقرب من تمّط لغتهم، ولذلك أدرك الباحث مؤلّف هذا الكتاب هذا الأمر بجلالٍ وعمقٍ تفكير. فجاء الكتاب بصبغةٍ جديدةٍ مُميّزة لا نعهد لها في كتب القواعد العربيّة التي نعرفها، ككُتّب ابن مالك (التسهيل، الكافية الشافية، الألفيّة) أو كتب ابن هشام (قطر الندى، شذور الذهب، أوضح المسالك ...)

وأرجو الله أن يُهَيِّئَ لهذا الكتاب المدرِّسَ الخبيرَ المُخْلِصَ، ليقدم قواعد العربية التي هي آلة ومدخل إلى علوم لغة القرآن الكريم بمُسْتَوَى رفيع، وبطريقة عرضٍ مُتَعَدِّةٍ ومُشَوِّقةٍ لأن السلسلة هي محاولة لِصَمِّ معظم قواعد اللغة تنطلق من منهج شاملٍ يتدرَّج بالطَّالِب من الجزئيات (المفردات، الأدوات) إلى التكامُل (التراكيب، الأساليب، الجُمَل ..) حتى تُوصِلَهُ إلى مُستَوَى من الكِفَايَةِ، يُنَبِّهُ لَهُ فَهْمَ اللُّغَةِ وتُعِينُهُ على تدبُّر القرآن الكريم خبيراً وتدبُّراً وانطلاقاً من أهمِّية التدبُّر السليم والقويم للقرآن الكريم، وذلك ما لا يتمُّ إلَّا بمعرفة اللغة العربية معرفةً كافيَّةً، عند قراءة القرآن الكريم جهراً أو سراً، أو بصوتٍ خافتٍ جاء الباحث فهيم الدين - حفظه الله - ليُبَيِّرَ أهمَّ قواعد النحو والصرف لتكون مدخلاً إلى فهم القرآن خاصَّةً للمسلمين الناطقين بغير العربية.

هذا وقد وجدت جدوى ذلك مع عدد من أولئك الذين نَبَعَ منهم ثُلَّةٌ مُخْلِصَةٌ، أتقنوا علم الصرف خاصَّةً وبرعوا فيه، وهم بحاجةٍ إلى دَعْمٍ ذلك بشواهد القرآن الكريم.

هذه السلسلة جَمَعَتْ إلى غزارةِ المادَّةِ سهولةَ العرضِ ووُضوحَه، وإلى جودةِ الترتيبِ دِقَّةَ العبارةِ، وإلى كثرةِ الشواهدِ حُسْنَ الاختيارِ، لِيَسْتَفِيعَ به المبتدئون، ولا يستغني عنه المنتهون.

أدعو الله تبارك وتعالى أن يجزي المؤلف الأستاذ فهيم الدين القاضي على عمله خير الجزاء، وأن يجعل في جهوده هذه من الخير والبركة والنفعة ما يشمل الدارسين في هذه السلسلة، وأن يجعلها ذات أثرٍ حَسَنٍ في نُشْرِ لغة القرآن في أنحاء الأرض. إنَّه نعم المولى ونعم المعين.

الدكتور أيمن عبد الرزاق الشؤا

دمشق 27 صفر، 1431

(Feb 11, 2010, Damascus, Syria)